فكاهات

نسيمة الهوآء[1]

في اليوم الاول من يولبو سنة ١٧٩٨ نزل الامبراطور العظيم نابولون بونابرت بستة وتلاتين الف مقاتل بالقرب من الاسكندرية كما هو معلوم من تاريخه وقد قصد الاستيلاء على هذا القطر وجعلهُ محطة بين مملكتهِ والهند التي كان في نيتهِ افتتاحها . وبعد وصولهِ بأربعة ايام دخل الاسكندرية ثم زحف قاصدًا القاهرة وكان المتسلط على القاهرة اذ ذاك واحدًا من امرآء المماليك يقال لهُ مراد بك وكان قد نادى باستقلالهِ فأرسلت الدولة العثمانية جيشًا استخلص القاهرة من يدهِ سنة ١٧٩٠ وسعت الدولة في القآء القبض على مراد المذكور فهرب برجالهِ الى صعيد مصر . ولما جآء نابوليون لفيهُ مراد بك بالقرب من امبابة بستين الفًا من اتباعهِ وحدثت بينهما معركة هائلة تعرف باسم موقعة الاهرام انجلت عن فوز الجيش الفرنسوي وهزيمة مراد وقتل نحو خمسة عشر الفًا من رجالهِ

وكانت الدولة الانكليزية لا تغفل طرفة عين عن حركات ذلك الامبراطور العظيم فلما تحققت غايتهُ من مجيئهِ الى مصر ارسلت في اثرهِ امير البحر الشهير نلسون وفوضت اليهِ الرأي في احباط مسعى نابوليون فجآء الاسكندرية ورأى المراكب الفرنسوية فيها فاصلاها نارًا حامية وتركها اخشابًا تحترق على وجه المياه في ابوقير وكان ذلك بعد فوز نابوليون على مراد المذكور ببضعة ايام

ولما بلغ نابوليون قمة الهرم الاعلى من اهرام الجيزة حتى بلغهُ خبر اضمحلال اسطولهِ البحري فأوفد عساكرهُ الى ابوقير فلم تجد فيهِ سوى جيش من العساكر العثمانية فقاتلتهُ وبددت شملهُ وكان ذلك سنة ١٧٩٩

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واستدعت الاحوال رجوع نابوليون الى فرنسا لتدبير شؤون داخليتهِ فعاد اليها تاركاً في مصر الجنرال كليبر بجيشٍ كافٍ وتواصٍ شديدة لاكمال ما شرع فيهِ نابوليون . فسار كليبر والجيوش الانكليزية في اثرهِ تساعد الاتراك على مقاومتهِ حتى سدت في وجههِ جميع الطرق واضعفت قوتهُ ورأى ان لا فائدة ترجى من بقآئهِ في القطر فخاطب السير سدني سميث قائد الجيوش لانكليزية ان يسمح لهُ بالخروج مع عسكرهِ والعودة الى فرنسا فوعدهُ بذلك ولكنهُ لم يلبث ان غيّر وعدهُ وطلب تسليم كليبر وجنودهِ بمنزلة اسرى حرب . فلم يطق الدم الفرنسوي هذا التلوّن والاستخفاف فزحف كليبر الى المطرية سنة ١٨٠٠ وفيها اذ ذاك من الجنود العثمانية سبعون الفاً وهم ستة اضعاف عدد عسكرهِ فجرت بينهُ وبينهم موقعةٌ هائلة كان النصر فيها لكليبر وقُتل من عساكر الاتراك خلقٌ لا يحصى . غير انهُ لم يتمتع كثيرًا بهذا الانتصار العظيم لانهُ قُتل بعد هذه الموقعة ببضعة اشهر وسلمت قيادة الجيوش الفرنسوية في مصر الى الجنرال مانو

ولم تكن تنتظر انكلترا مثل هذه المقاومة من فرنسا فصممت على كسر شوكتها بيدٍ قوية قبل استفحال الامر فارسلت السير رالف ابركرومبي بسبعة عشر الفاً فبلغ الاسكندرية سنة ١٨٠١ ومذ ذاك اخذ الظلّ الفرنسوي يتقلص شيئاً فشيئاً حتى اخلى القطر المصري بتامهِ ولما امنت انكلترا عودتهُ سلمت مصر الى الاتراك سنة ١٨٠٣ . وما كادت الجيوش الانكليزية تبلغ بلادها حتى انقسمت الاتراك في مصر الى حزبين وهما الالبان والغزّ وكان الفوز للالبان وفي رأسهم محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية فانتخب حاكماً لمصر سنة ١٨٠٥

ولما رجع الجيش الفرنسوي من مصر تخلف عنهُ بعض المرضى واصحاب العاهات ممن لم يكن في الامكان نقلهم وكان بين هؤلآء ضابطٌ يدعى مارشال كان قد اصيب بجراحٍ كثيرة في معركة المطرية اقعدتهُ عن مرافقة الجيش بعد ذلك فانعم القائد عليهِ بمبلغ من المال اشترى بهِ منزلاً صغيرًا بالمطرية واقام بهِ يقضي بقية ايامهِ وكان بالقرب من منزلهِ شجرة قديمة تُعرَف الى اليوم بشجرة العذرآء فتيمن

بمجاورتها . وحدث يومًا انهُ رأى عبدين يسيران الى جانبي دابةٍ وقد ركبت عليها سيدةٌ مقنَّعة حتى بلغت الحديقة فانزلها العبدان ولبثا ينتظرانها . اما الفتاة فسارت الى الشجرة المذكورة وجثت لديهـا حينًا وهي غارقةٌ في التضرع حتى اذا انتهت اخذت غصنًا صغيرًا من الشجرة فقبلتهُ ثم وضعتهُ في صدرها وهمت بالرجوع . فاستغرب مارشال الامر وتوجه لمقابلة الفتاة فحيَّاها فردت تحيتهُ باللغة الفرنسوية فابتهج لما رآها تتكلم بلسانهِ فقالت لا تعجب من مخاطبتي لك بهذه اللغة فاني فرنسوية الاصل ولكني ألبس هذا الزيّ اتباعًا لعوائد البلاد . فطفح قلب مارشال سرورًا واخذ يدها وجعل الاثنـان يتمشيان في الحديقة واطلعت الفتاة مارشال على تاريخ حياتها فعلم منهُ انها ابنة رجل فرنسوي جآء الى مصر بزوجتهِ وابنتهِ واسمها كلوتيلد قبل مجيء ناپوليون باعوام وكانت اذ ذاك طفلةً وكان والدها يميل الى الزراعة فتزيّا بزي اهل البلاد واقام يبتاع الاطيان ويغرسها حتى جمع ثروةً صالحة ولكنهُ توفي منذ مدةٍ ولحقت بهِ زوجتهُ فتركا اموالهما لابنتهما كلوتيلد . ثم ان كلوتيلد وجدت في بقآئها في مصر لذةً وهي لا تعلم شيئًا عن وطنها الا ما سمعتهُ من والديها ورأت نفسها في سعة من العيش فاقامت في القاهرة وكانت كل مدة تزور شجرة العذرآء في المطرية فتتلو تحت اغصانها صلواتٍ عن نفس والديها

وشعر مارشال وكلوتيلد بمـا يشعر بهِ كل غريب اذا رأى احد ابنآء وطنهِ في بلادٍ بعيدة فبقيا يتحادثان ويتذاكران وافترقا اخيرًا كانهما صنوان قد عاشا معًا وتواعدا ان يتزاورا ثم ما عتم مارشال ان اقترن بكلوتيلد وسلمت اليهِ اطيانها واموالها فعاشا سعيدين ورزقهما الله توأمين ذكرًا وانثى سمياهما ادوار وأنجل . ولما كبرا عكفا على تعليمهما ما يعلمانهِ فاتقنا اللغة الفرنسوية واخذا عن امهما اللغة التركية التي كانت قد تعلمتها جيدًا

وساعد الحظ مارشال فاستدعاهُ محمد علي باشا وفوَّض اليهِ قيادة فرقة من جنودهِ وطلب اليهِ ان يدرّبها في المثاقفات العسكرية ففعل ونال حظوةً في عيني الامير . اما ادوار وأنجل فكانا مثال المحبة والوداد وآية الجمال والكمال وكانا لا يفارق

احدهما الآخر في الدرس والتنزه واللعب والقيام والنوم وكان لوالدتهما كلوتيلد سلسلة من الذهب الخالص قد ورثتها عن والدتها ففصلتها قطعتين وضعت في عنق كلٍّ منهما قطعة وقد نقشت لكلٍّ اسمهُ وتاريخ ولادتهِ

ولما بلغ الولدان الثامنة من سنيهما ارسل مارشال ابنهُ ادوار الى فرنسا واوصى بهِ بعض معارفهِ القدمآء وهو يودّ ان يقدمهُ الى المدرسة الحربية ليتلقى فيها العلوم العالية والافانين الحربية . فسافر ادوار مخلفاً لوالديهِ وشقيقتهِ الوحشة الشديدة وكان اشدهم وحشة شقيقتهُ فانها انقطعت عن التنزه والالعاب ولم تعد تفارق البيت الا نادرًا

وبعد سنتين من ذلك التاريخ اي في سنة ١٨٢١ نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وطلبت الدولة نجدةً من محمد علي باشا فارسل لها ثمانية آلاف جندي وكان من جملة قوادهم مارشال . واول معركة خاض مارشال غبارها ابلى فيها البلآء الحسن ورفع شأن الجنود المصرية ولكنهُ ما خرج من المعمعة حتى اصابتهُ رصاصةٌ في صدرهِ فخرَّ قتيلاً . ولما بلغ الخبر محمد علي باشا اجتهد في اخفائهِ عن كلوتيلد ولكنها عرفتهُ اخيرًا فاعقبها الحزن مرضاً توفيت بهِ ولم يبقَ من تلك الاسرة في مصر سوى النجل وحدها وعمرها احدى عشرة سنة . فاضاف محمد علي باشا املاك اسرة مارشال الى دائرة احدى اميرات بلاطهِ واسمها زينب بشرط ان تتخذ أنجل ايضاً فتجعلها كابنتها او كشقيقتها . ثم طلب معرفة عنوان اخيها ادوار فلم يهتدِ اليهِ وحدث لهُ من المشاغل ما انساهُ الامر بعد حين

وكانت الاميرة زينب تقطن قصرًا على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة . وكان القصر فخيم البنآء تحيط بهِ حديقة واسعة الارجآء دائمة الخضرة والازهار ويحيط بالحديقة سورٌ عالٍ لا يُدخل منهُ الا من بابٍ واحد عظيم البنآء وعلى جانبيهِ نقوشٌ تمثل البنآء العربي القديم . وكانت الاميرة تركية الاصل وقد ورثت عن زوجها اموالاً طائلة واراضي فسيحة والقصر المذكور ففضلت الاقامة فيهِ أيّمًا لانها رأت حياة الحرية المطلقة افضل من الاسر تحت نير الزواج . ولم تكن تحرم نفسها شيئاً من اسباب السرور والانبساط وكان لها قوارب بديعة الصنعة

تقف تحت قصرها فتنزل فيها في الليالي المقمرة وتمخر بها بين شواطئ النيل فتلذذ نفسها بمنظر مياههِ وغنآء خادماتها وجواريها . ولما بلغتها ارادة محمد علي باشا ولم تكن تخالف لهُ امرًا استلمت أنجل وأطيانها ونظرت الى الفتاة فالفتها كالخيزران قامةً وكالبدر طلعةً فأعجبتها جدًّا ثم كلمتها بالتركية فأجابتها هذه بعذوبة صوت كان لهُ في قلب الاميرة اشد تأثير فأحبت الفتاة حبًّا لا مزيد عليهِ وامرت ان لا تفارق شخصها البتة . ورأت ان اسمها الافرنجي لا يوافق دائرتها التركية فأبدلتهُ بنجلآء . وقضت نجلآء ايامها الاولى في قصر الاميرة محنية الرأس دامعة الطرف كاسفة البال لا تفارق صدرها الزفرات ولا عينها العبرات وهي تندب والديها الفقيدين واخاها الذي لم تعد تسمع عنهُ شيئًا . ولكنها ما عتمت ان اخذت في نسيان كل ذلك شيئًا فشيئًا وقد ألهاها عن احزانها ما رأتهُ في قصر الاميرة من اسباب الابهة واللهو والطرب وزاد على كل ذلك عطف الاميرة زينب عليها ومحبتها الشديدة لها . وكانت الاميرة لا تبخل عليها بأفخر الملبوس واثمن الحلى فأصبحت نجلآء من اجمل صور ذلك القصر

وكان للاميرة نسيب يقال لهُ الامير فائز رأى يومًا نجلآء فسحر بجمالها وكانت تنشد للاميرة بعض الالحان التركية فخلبت لبهُ وسلبت عقلهُ وهام بحبها ففقد صبرهُ . واطلع الاميرة زينب على سرهِ فقالت لهُ اني لا الومك على حب مثل هذا الملَك ولكنني من الجهة الواحدة لا احب ان تتزوج واخسر مؤانستها ومن الجهة الثانية اراها لا تميل الى الزواج وقد اتفق لنا مان تكلمنا عنهُ مرةً فأظهرت نفورها التام من ذلك وهي تفضل متلي حياة الحرية المطلقة . فقال الامير اما بُعدها عنكِ فأعدكِ انها ولو تزوجتني نبقى كلانا في دائرة قصركِ . واما عدم ميلها الى الاقتران فاذا سمحت لي برضاكِ اتعهد بتليين قلبها واستلام زمامها . فسمحت لهُ الاميرة وقالت لهُ دونك وما تريد غير اني اخطرك من الآن انني لا اسمح لنجلآء ان تقترن بك ما لم اتحقق انها اصبحت تهواك كما تهواها . فخرج الامير فائز مسرورًا وهو يعلل نفسهُ بالفوز معتمدًا على دهآئهِ وجمالهِ وغناهُ ان لا يجد صعوبة في الاستيلآء على قلب نجلآء وايقاعها في محبتهِ . اما نجلآء فكانت لا تميل الا الى بنات جنسها غير ان احاديث الاميرة عن

فائز وتهالكه في سبيل مرضاتها جعلها تميل شيئاً الى محادثتهِ والنظر اليهِ ولكنها لم يخطر لها قط ان يكون بعلاً لها يوماً ما وكانت ترتعد فرائصها اذا ذكر لها احدٌ امر الاقتران

ومضت سنوات عديدة على تلك الحالة وادركت نجلآء الحادية والعشرين من عمرها فاستوى قدّها وبرز نهداها واصبحت فتنةً للناظرين . وحدث في بعض الليالي الحارّة ان خرجت الاميرة كعادتها للتنزه فركبت ونجلآء قارباً كانت النوتية تجرهُ من قارب آخر فوق مياه النيل الهادئة والى جانبهما قاربٌ آخر يقلّ الجواري الحسان من خدم الاميرة وبينهنّ العازفات والمغنيات فقضينَ ليلة من اجمل الليالي . ثم صرفت الاميرة جواريها ولبثت مع نجلآء تمخران ذهاباً وايابًا في النهر حتى قارب الليل ان ينتصف وكانتا قد صارتا بالقرب من شاطئ الجزيرة فاستوقف سمعهما صوتٌ شجيٌّ ينشد اغنيةً فرنسوية شديدة التأثير وكان سكون الفضآء وهدوء الليل يعيران صوت المنشد عذوبةً ساحرة . فطلبت نجلآء من الاميرة ان يقف القارب وجلست مصغيةً الى تلك الكلمات الخارجة من كبدٍ حرّى وكأنها سمعت في ذلك الانشاد شيئاً يذكرها ما مرَّ من حياتها في زمن حداثتها فلم تملك نفسها من البكآء

وكانت الاميرة ايضاً قد تأثرت من ذلك الصوت الحنون فلم تنتبه الى ما حل بنجلآء وبقيتا كذلك الى ان انقطع الانشاد وعادتا الى القصر . وما صدقت نجلآء ان صدر لها الامر بالانصراف الى غرفتها حتى ذهبت واطلقت لنفسها العنان فبكت بكآءً مرًّا . ولما تيقنت ان اهل القصر قد ناموا قامت فخرجت الى الحديقة ونزلت السلم المؤدي الى النهر فايقظت نوتيًّا كانت تثق بامانتهِ وقبل ان تبادئهُ بخطاب ناولتهُ قبصة من الدنانير ثم قالت لهُ اتحفظ السر يا سعيد قال لبيكِ يا مولاتي . قالت اذهب وابحث لي عن صاحب الصوت الذي سمعناهُ الليلة ودبر بحكمتك ان تمكنني من مقابلتهِ غدًا هنا وفي مثل هذه الساعة . فقال سمعاً وطاعةً يا مولاتي فغدًا ان شآء الله يكون هنا حسب مرامكِ . وكانت نجلآء ترتجف من البرد وهي خائفة ان يشعر احدٌ بوجودها تلك الساعة في ذلك الموضع فما صدقت ان سمعت وعد سعيد لها حتى عادت الى غرفتها ولم يزر الكرى جفنها طول تلك الليلة

ولم تصدق نجلآء ان مضى النهار واقبل الليل الثاني حتى خرجت في الميعاد وجآءت الى السلم المعهود فجلست وكانت الافكار تتقاذفها وهي تلوم نفسها لارسالها بطلب غريب عنها في مثل تلك الساعة من الليل وكانت كلما أنبت نفسها على هذا الصنيع تشعر في ضميرها بصوتٍ حيّ يهوّن عليها فعلها . وانها لكذلك اذا بقارب ينساب على المياه الصافية حتى بلغ السلم فنزل منهُ سعيد وتبعهُ فتًى في عنفوان الشباب في ثياب افرنجية وعلى رأسهِ طربوش وصعدا السلم فوجداها في انتظارهما فقال سعيد لنجلآء ها هو يا مولاتي الفتى الذي امرتني باحضارهِ وسأذهب الى وسط الحديقة حتى اذا طرأ مفاجئ انبهكِ للامر . ولما خلت نجلآء بالفتى الغريب جعلا ينظران بعضهما الى بعض وهي لا تدري كيف تبدأ بالحديث ورأت على وجه الفتى دلائل الامانة والرجولية والعفاف وفيهِ شيء من الحزن فقالت بالفرنساوية عفوًا ايها الغريب اذ دعوتك في مثل هذا الوقت والى مثل هذا المقام ولكنني في بيت تعسر عليَّ فيهِ مقابلتك على غير هذه الصورة . وقد سمعتك بالامس تتغنى بلحن هاج احزاني وعلمت انك ولا بدّ قادمٌ من فرنسا فاحببت ان اقابلك فاسألك عن وطن آبآئي وعن عزيزٍ لي هناك ربما تعرف عنهُ شيئًا . وكان الفتى يعجب من لهجة نجلآء ولغتها الفرنسوية الصحيحة وشعر بانقباضٍ في صدرهِ ورأتهُ نجلآء قد رفع منديلهُ الى عينيهِ فمسح منهما دمعتين محرقتين . ثم قالت لها عجبًا ايها السيدة فزيكِ تركي وانتِ في بيت اتراك وتقولين ان فرنسا وطن آبآئكِ . فتنهدت نجلآء وقالت نعم انني من والدين فرنسويين ولكن حكمت الاقدار ان اغير محل اقامتي وزيي واسمي فبعد ان كنت في حضن والدتي اصبحت في منزل اميرة تركية وبعد ان كنت بلباس ابنآء وطني صرت في هذه الملابس الشرقية وبعد ان كان اسمي انجل تغير الى نجلآء . وكانها رأت امام عينيها صورة ماضيها فاطرقت الى الارض وهي تئن بتوجع . اما الفتى فما سمع كلامها حتى شعر كأن سهماً قد اخترق فؤادهُ فرفع يدهُ الى عنقهِ واخرج من تحت ثوبهِ سلسلةً ذهبية فقدمها الى نجلآء وقال لها هل رأيتِ في زمانكِ شيئًا يشبه هذه . . . ولم تدعهُ يتمم حديثهُ فوثبت كاللبوءة الفاقدة

اشبالها ثم اخذت السلسلة وقرأت عليها اسم ادوار والتاريخ فرفعت باليد الواحدة سلسلتها ايضاً من عنقها ورمت باليد الثانية على عنق اخيها واغمي عليها . . . .

ولما اخذ الضعف البشري حدَّهُ من الاخوين اخذا يتحادثان فقصت عليهِ نجلآء جميع ما مرّ عليها وما تذكرهُ ولما انتهت اخذ ادوار في حديثهِ فقال . اما انا فلما ارسلني والدي الى فرنسا أُدخلت المدرسة الحربية فبقيت فيها عشر سنوات اتقنت فيها جميع علومي ونلت من فضلهِ تعالى ودعآء والديّ قصب السبق على اقراني ثم أُخرجت من المدرسة لاقضي ثلاث سنوات في الخدمة كما تقتضيهِ اوامر الحكومة وقد كتبت في هذه المدة مرارًا الى والدي فلم احصل على حواب . ولما اصبحت حرًّا خيرتني الحكومة في البقآء او السفر ففضلت المجيء الى هنا لارا كم وزوَّدني بعض كبار رجال الحكومة تواصي الى حاكم القطر محمد علي باشا فجئت والشوق يعيرني اجنحةً حتى بلغت مصر اول امس فرأيتها قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليهِ حين فارقتها . ولما لم اهتدِ الى مقرّ والديّ قصدت محمد علي باشا فرفعت اليهِ كتب التوصية التي معي ولما عرف اسمي وغايتي اظهر لي كثيرًا من الانعطاف والحنوّ وقال لي ان والديك في النعيم وشقيقتك في حال تسرّك . ولكن قبل ان اجمعك بهم لا بد من ارسالك في مهمةٍ اوَمل لك منها خيرًا عظيماً وعودًا سليماً فاغطي صدرك هذا باوسمة الفخر واجمعك اذ ذاك بمن تحب . ثم اخبرني ان نجلهُ ابرهيم باشا قد سافر لمحاربة الديار السورية وانهُ يود ان يرسلني اليهِ لاساعدهُ في قيادة العساكر والحرب فلم تسعني مخالفتهُ وقد امرني ان استعد للسفر وسيجهز لي الكتابات اللازمة لابنهِ وميعاد سفري غدًا

وكانت أنجل تصغي اليهِ بكل حواسها وهي لا ترفع نظرها منهُ فقالت لهُ لا بد من تقديمك الى الاميرة زينب في هذه الليلة وان نقضي الساعات الباقية لك في مصر معاً . فقال لا فاني لا بد ان استعد للسفر وقد كفاني الآن اني رأيتكِ وعلمت مقركِ فاذا عدت سالمًا من سوريا كما ارجو باذن الله فحينئذٍ نجتمع اجتماعاً لا فراق بعدهُ . ثم اخذ الاثنان في حديثٍ طويل وكان ادوار يراجع كلمات محمد علي باشا

اذ قال لهُ ان والديك في النعيم وكيف لم يفطن اذ ذاك لمعناها فكانا يندبان فقدهما ويعزيان بعضهما بعضاً . و بينا هما غارقان في الحديث لم يشعرا الا وقد اخذت ظلمة الليل في الاضمحلال فلم يريا بدًّا من التفرُّق فودعا بعضهما بعضاً وسارت نجلآء بأخيها على ضفة النهر الى ما ورآء سور الحديقة فاستأنفا الوداع ورجعت هي الى غرفتها وسار هو في طريقهِ في تلك البساتين

وما سار ادوار كثيرًا وهو غائصٌ في تأملاتهِ حتى شعر بوطء اقدام تسير ورآءهُ فوقف ونادى بالتركية من القادم . فأجابهُ صوت أجشّ قف مكانك يا هذا ولا تبدِ حراكاً . ثم اقترب الشبح من ادوار فاذا هو رجلٌ ملتفٌّ بعباءةٍ ولكنهُ لم يتبين هيئتهُ فقال لهُ ماذا تريد مني ايها الرجل . قال اريد قتلك واخفآء خبرك . فقال ادوار ولمَ ذلك . قال لانني رأيتك خارجاً من حديقة هذا القصر وقد اقسمت انهُ لا يدخلهُ غريب ويخرج منهُ حيًّا فاستعدّ للموت . فقال ادوار اعلم يا هذا انني من اخصآء محمد علي باشا فاذا بلغهُ الامر لا تأمن على حياتك . فقال ومن اين لمحمد علي ان يعرف بذلك فسأقتلك واخفيك تحت التراب فيعجز الثقلان عن معرفة قاتلك أو محل وجودك . فقال اداور خف غضب الله يا هذا واعلم انهُ ولو لم يشاهد اثمك احد فان الهوآء الذي تتنشقهُ الآن ينمّ عليك يوماً ما فتنال جزآءك . فقهقه الشبح ضاحكاً وقال اذا نمَّ عليَّ الهوآء يوماً فسأجد ما اكذب بهِ شهادتهُ . ثم رفع من تحت قبآئهِ خنجرًا واغمدهُ ثلاثاً بسرعة البرق في صدر ادوار فسقط الى الارض ميتاً والدم يتدفق من جراحهِ . واسرع القاتل فحفر حفرةً القى فيها جثة ادوار وغطاها بالتراب واخفى اثر الدم وسار الى بيتهِ

اما نجلآء فكان سرورها بلقيا اخيها قد انساها جميع همومها فكانت دائمة السرور والابتهاج ولما طالت المدة ولم تسمع عنهُ شيئاً اضطرب فكرها ولم يكن يسليها الا اكرام الاميرة لها ومغازلة فائز وقد همت بأن تميل اليهِ . ومضت عليها ثلاث سنوات لم تسمع فيها شيئاً عن ادوار وكانت تعلل النفس بالاجتماع بهِ يوماً وتسرّ لما تسمعهُ من اخبار فتوح ابرهيم باشا وانتصاراتهِ وهي تعتقد ان اخاها في صحبة ذلك البطل .

وتغلب الامير فائز عليها اخيرًا فوعدتهُ بالاقتران بهِ وما صدق ان اخذ وعدها حتى اعلم الاميرة زينب فجعلا يستعدان للقيام بأفراح العرس . ولما كانت الليلة المعينة عُقد لفائز على نجلآء في حفلةٍ باهرة جمعت كبار الامرآء والنبلآء والحّ اصحاب فائز على اطالة ليلة السرور فانصرفت نجلآء الى غرفتها و بقي فائز مع اصحابهِ الى بزوغ الفجر فلما خرجوا ذهب الى غرفة حبيبتهِ فوجدها قد استيقظت من نومها وهي تشكو من الحرّ فعمد الى نافذةٍ ففتحها فهبّ منها نسيمٌ لطيف في وجه فائز فتبسم . ورأت نجلآء تبسمهُ فسألتهُ عن السبب فقال لها قد ذكرني الهوآء امرًا . قالت وما هو . قال حادثة حصلت منذ ثلاث سنوات . ولما ألحت عليهِ ان يخبرها ولم يكن يودّ ان يعصي لها امرًا قال لها انني منذ كلفت بكِ كنت اسهر عليكِ ليلاً ونهارًا وحدث منذ ثلاث سنوات انني رأيت عند انبلاج الفجر فتى خارجاً من حديقة القصر فسوّلت لي غيرتي ان اقتلهُ وقبل ان افعل تهددني بالعقاب ولم يكن بالقرب منا احد يمكن ان يعرف ذلك فقال ان الهوآء الذي اتنشقهُ يشكوني يوماً ما . فلما فتحت النافذة الآن وهب الهوآء في وجهي ذكرني تلك الحادثة فتبسمت ضاحكاً من فأل ذلك المسكين

فلما سمعت نجلآء هذه الكلمات وثبت كفاقدة العقل فأمسكت بعنق فائز وصاحت آه يا قاتل اخي ولم تتركهُ حتى جآءت الخدم فأمرتهم بايثاقهِ . ثم ارتدت ثيابها وتوجهت للحال الى دار محمد علي باشا فطلبت المثول بين يديهِ وأخبرتهُ بما كان فشقّ عليهِ الامر جدًّا وامر فاستُحضر فائز وقُرّر فأقرّ وبُحث عن الجثة فوجدت رمةً والسلسلة الذهبية لا تزال معلقة في العنق فأخذتها نجلآء وهي الاثر الوحيد الباقي لها من آلها وحكم على فائز بالشنق . ولما ايقنت نجلآء بنفاذ القضآء فيهِ طلبت الى محمد علي باشا فأرجع لها من المال ما يؤازي تركة والديها وسافرت الى فرنسا بعد ان كرهت الاقامة في ارضٍ لم تلقَ فيها منذ ولادتها سوى الشقآء والحزن وفقد الاهل والسعادة